حكاية الجندي حفالش

أنا حفالش الصابر حمد، التحقت بالجندية منذ الثامنة عشرة من عمري، أمضيت زهرة شبابي في التنقل من معسكر إلى آخر، أقمت بمعسكرات الجيش في الجنوب وفي أقصى الشرق، وكذلك في الغرب، خالطت الكثير من العسكر الجيدين ومنهم الأوباش، عرفت قسوة الحياة العسكرية وخشونتها، والنهوض المبكر والحلاقة اليومية، والتعليمات والأوامر العسكرية القاسية، بل ودخلت كل الحروب التي زج بنا فيها ديكتاتور ليبيا، قاتلت مع غيري من العسكر في وسط أحراش وغابات أوغندا، وعلى تلال وسفوح جبال لبنان، وفي صحاري ورمال تشاد الملتهبة، التي ضاع فيها أكثر من نصف جيشنا، حروب كلها خاسرة لا ناقة لنا فيها ولا جمل، أتذكرها تلك السنوات المريرة القاسية، وكيف عدت من تشاد بساق واحدة أتراقص كالبندول، بينما راح الكثير من العسكر أشلاء في تلك الصحاري والرمال، فقدت الكثير من رفاقي هناك بعد إحالتي على الضمان، براتب أقل

من راتب المطلقة، يتذكروننني اليوم أخيرًا ماذا هناك؟ يستدعونني إلى قيادة المنطقة برسالة رسمية، قالوا ثمة تكريم لنا هناك، أخيرًا يتذكروننا ذهبت إليهم أجر قدمي وأنا أتراقص كالبندول بساق واحدة أتوكأ على عكاز، وكلي أمل في أن أحصل على علاج على نفقة الدولة في أوروبا، أو مبلغ كبير من المال أو شقة سكنية أقضي فيها بقية حياتي البائسة، دخلت قيادة المنطقة العسكرية كانت ثمة منصة قد زرعت في الساحة عليها كراسي فارهة، عشرات الكراسي التي وزعت أمام المنصة، والعسكريون يتواجدون من مختلف الرتب العسكرية، ارتميت على أحد الكراسي، صعد بعد دقائق أصحاب الرتب الكبيرة والنياشين، الذين هم في الحروب يخافون من ظلهم، كان ثمة مذيع مدني على المنصة يقترب من ناقل الصوت ويعطي الكلمة لآمر المنطقة الدفاعية، الذي ألقى خطبة عصماء عن الشجاعة والإقدام، وبعدها أخذ المذيع في تلاوة أسماء المكرمين من الجنود وضباط الصف والضباط، لا شك أنني سوف أتحصل على

شقة، أو سيارة جديدة، أو رحلة علاج إلى أوروبا، لتركيب رجل صناعية.

أسماء كثيرة لجنود لم أعرفهم، لكن أين كانوا كل هؤلاء؟ لم يدخلوا معنا في الحروب، هل أنهض وأصرخ فيهم كل هؤلاء من أين جاءوا؟ إننا لم نرهم في تلك الجبهات والحروب لكن ما دخلي بهم، بعد عشرات أسماء المكرمين، نودي على أسمي، اتكأت على عكازي وأنا أتفصد عرقًا، اقتربت من المنصة التي يجلس عليها الضباط، نهض أحدهم ومد لي بورقة كبيرة وهو يبتسم قائلًا :

ـ هذا وسام الشجاعة مبروك عليك.

رددت بيني وبين نفسي ماذا أفعل بهذه الورقة التي لا تأتي حتى برغيف خبز، ثم اقترب مني ضابط آخر قائلًا:

ـ هذه هدية لك.

حملتها كانت قطعة فرش عجمي اثنين في ثلاثة تحمل صورة الديكتاتور، ماذا أفعل أنا ماذا أفعل بها هذه؟ لله الأمر من قبل ومن بعد.